فى مجلات الشرق

المرأة السورية

فى العدد التاسع من مجلة « الحديث » التى تصدر فى حلب يتحدث الأستاذ سامى الكيالى عن « المرأة فى المجتمع العربى » فيبدأ الحديث عن المرأة السورية، فيزعم أنها تجمع فى شخصيتها وفى الحياة التى تحياها كل عصور التاريخ :

« فى مجتمعنا نساء يعشن من حيث التفكير وإدراك أسرار الحياة عيشة امرأة العصر الحجرى ، وأخريات كأنهن فى عصور البداوة . . . وبعضهن لم يذقن نعيم الحضارة ولا عرفن لونها ولا طعمها ... وقد نتجاوز فنقول عن بعضهن إنهن نصف متحضرات... ثم إلى هذه المجموعة من النساء المختلفات عقلية وميولا ، نساء يعشن عيشة الباريسيات المتأنقات سواء فى بيوتهن أو فى المجتمعات ، وقد تبذ المرأة السورية الباريسية فى الكثير من المظاهر » .

ثم يمضى الكاتب فى حديثه عن المرأة ودعوات المفكرين لتحريرها وما كان لهذه الدعوات من آثار إصلاحية قليلة بالقياس إلى ما لا تزال تتمرغ فيه المرأة العربية من الجهالات والخرافات ؛ ثم يرد فساد الحياة الاجتماعية فى البلاد العربية إلى هذا الأصل « لأن المرأة هى التى تزيل غشاوة الحياة وترق بالأسرة والمجتمع إلى المرتبة التى تتمتع بها المجتمعات الراقية التى أصابت حظاً وافرا من نعيم المدنية وفيض الحضارة » .

قصر بيت الدين

وتفرد مجلة « المكشوف » فى بيروت عدداً خاصا فى بضع وثلاثين صفحة للحديث عن قصر بيت الدين ، وهو القصر الذى ابتناه فى قرية « بيت الدين » سيد الجبل الأمير بشير الكبير منذ قرن ونصف قرن ، مظهراً رائعاً لأبهة الامارة وآية من آيات الفن .

وللأمير بشير فى تاريخ لبنان ، بل فى تاريخ الشام كله ، بل فى التاريخ القريب لهذا الشرق العربى ، فصل بعنوانه يحفل بالامجاد والمفاخر ، فلا عجب أن يحتفل إخواننا فى لبنان بذكره ويحرصوا على تراثه . وليس كل تراثه هو هذا القصر الباذخ ولكنه التراث البارز فى مرأى كل ذى عين وفى إحساسه . وكانت حفاوة مجلة « المكشوف » باخراج هذا العدد الخاص عن قصر بيت الدين مظهراً من مظاهر الحفاوة بكل أثر من آثار الأمير بشير الكبير .

وقد جمع هذا العدد بين دفتيه طائفة من الفصول لطائفة من أهل الأدب والتاريخ يتحدث كل منهم فى مقاله عن ناحية تتصل بالموضوع الفرد الذى خصص له هذا العدد من « المكشوف » : ففيه حديث بقلم فؤاد حبيش عن ماضى لبنان وحاضره منذ انفصل عن سلطان الدولة العثمانية حتى اليوم . يلى ذلك موجز من بحث للشاعر الأديب يوسف غصوب عن لبنان قبل عهد الأمير بشير ساير فيه لبنان مع الرحالين الفرنسيين من فولنى إلى موريس بارس .

وقد اتخذ الشيخ بشارة الخورى رئيس الجمهورية اللبنانية قصر بيت الدين مصيفاً لفخامته فى الصيف المنصرم ، فكان لابد من الحديث عن « رئيس الجمهورية فى قصر الأمير » وهو وصف صحفى دقيق بقلم زهير زهير يتحدث فيه عن القصر وساكنه وبانيه وحاضره وماضيه .

يلى ذلك فصل ممتع بقلم رئيف خورى عنوانه « سهرة مع الأمير فى مجلسه الأدبى » يصف فيه بعض مجالس الأمير بشير منذ أكثر من مائة عام ، فيه طرائف أدبية ممتعة وصور لبعض ألوان الحياة الاجتماعية فى قصر أمير لبنان يوم كان . . .

إلى فصول أخرى لبعض أهل الأدب والتحقيق ، ونتف مترجمة من أقلام الرحالين الذين عرضوا لحديث هذا القصر وأميره ، مثل لامرتين وموريس بارس وغيرهما .

كتاب طريف فى غلاف مجلة ، يتناول حقبة من تاريخ لبنان القريب ، فيه أدب وفن . وفيه مظهر من مظاهر القومية العربية الواعية .

من أدب العراق

ولا تزال مجلة « الغرى » التى تصدر فى النجف عنواناً بارزاً من عناوين النهضة الأدبية النشيطة فى العراق . فهذه الأعداد الأولى من سنتها الثامنة تعرض طائفة من المقالات لجماعة من كبار الكاتبين يتناولون فنوناً من العلم والأدب خليقة بالتقدير ؛ فهذا الدكتور مصطفى جواد يعرض لمجموعة صغيرة من الشعر لخمسة من شعراء العراق المتأخرين أو المعاصرين ، فيعقد بينهم موازنة أو « حكومة » على حد تعبيره يذهب فيها مذهبا طريفاً من مذاهب الموازنة . وهذا السيد عبد الحميد الدجيلى يتحدث عن « الغلاة وتحلهم فى العصور المتأخرة » . وهذه مقطوعات من « رباعيات الحبوبى » يحتذى فيها مثال الزهاوى على فرق ما بينهما فى الأداة والفكر . إلى فصول أخرى فى تاريخ العراق الحديث والقديم . وها نحن أولاء نجتزئ من العدد الأول بهذه « الرباعية » للحبوبى التى جعل عنوانها « الشعر لا ينفع الفقراء » :

تقول نفسى : دع ذكر الفقير فما ... يجديه شعر ولا تغنيه أمثال
فقلت : أتبع من قالوا لنصرته . ... قالت : وماذا أفادوه بما قالوا ؟
لم يمنح البائسين الشعر فائدة ... ولم تغير لهم يوما به حال
أما الألى يفهمون الشعر ليس لهم ... مال ، وأما ذوو النعمى فجهال :

وفى العدد الثانى من تلك المجلة ينشر السيد عبد الكريم الدجيلى الحلقة الثالثة من بحثه « النثر الفنى فى النجف » فيقدم « مقامة » ممتعة للمرحوم الشيخ جواد الشبيبى الأديب العراقى المتوفى منذ قريب ، يرد بها دعوى ادعاها صفيه المرحوم السيد جعفر الحلى الشاعر لدى قاضى النجف ، ويصف الكاتب هذه المقامة بأنها من « نتائج قريحة فياضة فى الأدب العربى لا تقصر عن مجاراة أجود المقامات فى خيالها الخصب ومداخلاتها الأدبية التى تعترض أثناء قراءتها » ثم يورد المقامة بعد ذلك بنصها .

وفى العدد الثالث منها فصل ظريف بقلم صدر الدين أحمد عنوانه « إلى ولدى الذى لم يولد » يخاطب فيه ولده من وراء الغيب :

« عزيزى . . . يؤلمنى أشد الألم أننى لا أدرى متى أنت تولد فأرى فيك بعضى بل جميعى موروثاً لك ومنقولا إليك ؛ فما أنت منى إلا اختصار كائن حى يضم فى حدوده صفوة خصائصى وعصارة مواهبى ومزاياى ، فأنا أنتظر إيجادك من نفسى كما لو كنت أنا سأوجد إيجاداً من نفسك . . . »

أما السبب فى أن ولده ذاك لم يزل فى ظهر الغيب فلأن أباه لم يتزوج بعد ، ولأن أمه لم تزل وراء الحجاب ، وذلك فيما يقول ذنب المجتمع المتعنت الذى حال بينه وبين الزواج لأنه فقير مملق ، فهو يعتذر آسفا إلى ولده من إبقائه إياه مكفوفا فى طيات نفسه ثلاثين سنة لا يرى وجهه ولا يستمع إلى نغمات صوته .

يذكرنى هذا الفصل بحديث قرأته فى مجلة « الرسالة » المصرية منذ بضع عشرة سنة لكاتب معروف فى مصر والعراق عنوانه « أين أنتم يا أحبائى ؟ » . . . كلا الكاتبين خط مقاله تحت وطأة الشعور بانه « أب بلا ولد ! »

أرأيت الصغيرات يحنون على الدمى جنو الوالدات على مواليدهن ؟ تلك صورة من صور الأمومة الباكرة ، وهذه صورة أخرى من صور الأبوة المعطلة !

ولا يزال السيد خضر العباسى يتحدث فى « الغرى » عن « المخلفات العباسية » وقد أوجزنا لقرائنا فى مثل هذا المكان من العدد الماضى شيئاً مما نشره الكاتب عن آخر سلائل العباسيين فى العراق ، وهو من حفدتهم ، وها هو ذا يوالى حديثه عنهم فى مقال عنوانه « مدرسة اسماعيل باشا العباسى فى بغداد » فمن أراد أن يتتبع تاريخ بنى العباس بن عبد المطلب الهاشمى إلى هذا الزمان فليقرأ مباحث السيد خضر العباسى فى مجلة « الغرى » عن أجداده .

تمنيت لو تهيأت إلى مصادر هذا التاريخ الذى يحكيه لأعرف تمام القصة التى بدأت فى خراسان منذ اثنى عشر قرناً ولا تزال حوادثها تتسلسل مع الأجيال حتى اليوم . . .

الأدب المصرى المعاصر

وهذه مجلة أخرى جديدة تصدر فى النجف باسم « الدليل » يصفها صاحبها السيد موسى الأسدى بأنها « شهرية علمية أدبية اجتماعية جامعة » . وبين يدى فى العدد الأول منها مقالة بقلم ابراهيم الوائلى عنوانها « الاتجاه الجديد فى الأدب المصرى » عنى فيها الكاتب بتتبع بعض الألوان فى الأدب المصرى المعاصر ، منذ كان ذلك الأدب مقصوراً على البحث فى إنتاج القدماء وما يتصل به من البحث والوصف والنقد ، إلى أن صار إنشاء يصور الحياة ويستوحى الواقع ويهدف إلى إصلاح الحياة والمجتمع . ويرى الكاتب أن زعيم هذه المدرسة الحديثة التى خرجت بالأدب المعاصر من نطاقه التقليدى المحدود إلى فسيح الحياة هو الدكتور طه حسين الذى دعا إلى حرية الرأى والصراحة فى القول والصدق فى التعبير ، فاستجاب لدعوته طوائف من الشباب يسيرون على النهج الذى شرعه .

ادب العراق أيضاً

على أن هذه النهضة الأدبية التى تصورها مجلات العراق لا تقنع السيد حسين على ، فهذا مقال له فى العدد العاشر من مجلة « البطحاء » التى تصدر فى الناصرية — بغداد ، عنوانه « حاجتنا إلى الأدباء » يتمنى فيه أن يرى فى العراق طائفة من الأدباء قد استكملوا أدواتهم وعرفوا واجبهم للناس لا لأنفسهم . فهو يرى أن فى حياة العراق اليوم اضطرابا يشمل كل صغيرة وكبيرة ويتناول أموره الخاصة والعامة ، وفيها إهمال يشيع فى كل شىء ، فى الأسرة ، وفى دوائر العمل ، وفى الشارع ، وفى دور التسلية ودور الثقافة ، وفى الريف والحضر على السواء ، وهو اضطراب وتقلقل كان من أثر تلك الحرب وما خلفته من أعقاب ؛ فهو لذلك يهيب بأدباء العراق أن يحاولوا علاج هذه النقائص بالسعى الحثيث لتصوير هذه الأدواء تصويراً يوقظ الشعور ويبعث الأمل ويجدد الحياة ويحمل على تلمس السبيل إلى الدواء ؛ ثم يتساءل منكرا : « ولكن أين هم هؤلاء الأدباء ، وما مبلغ تأثيرهم فى مجتمعهم ، وأين إنتاجهم الذين يكون به هذا التأثير ؟ »

ثم يحاول الجواب عن أسئلته تلك فيقول :

« الحق أننا لا نغالى إذا قلنا إنهم ويا للأسف الشديد قلة لا يعتد بهم ، قد سلك كل منهم وجهة خاصة بعيدة فى عالم غير عالمنا أو فى عصر غير هذا العصر . وليس أدل على ذلك من هذا التباين الكبير بينهم — على قلتهم — فى طراز التفكير ولون الأدب وقوة الأثر ، فهم بين قديم خشن الأسلوب بطىء التفكير متعصب للماضى . وبين آخر يخوض فى كل شىء ولا يخرج بشىء ، وإنما ثمرة كل ذلك هلهلة فى النسج واضطراب فى النهج وبلبلة فى الفكر ... »

المرأة الكردية

أما مجلة « الثقافة الحديثة » التى تصدر عن الكاظمية ، وهى مجلة أدب وعلم وفن واجتماع كما تصف نفسها ، فان لها ثأراً — كما يبدو — عند أكثر من مجلة من مجلات العراق ؛ فهى تخص بضع صفحات من العدد الثالث للنيل من بعض زميلاتها ثمة ، وإن لم تخل إلى جانب ذلك من مقالات تستحق أن تقرأ ، فهذا مقال للقائم مقام محمد شاكر فتاح عن « المرأة الكردية » يتحدث فيه عن شىء من خصائصها فى البيت ، وفى ميدان العمل ، فهى تحب زوجها وأولادها وبيتها ، وتشعر بما عليها للأسرة من تبعات ، فتشارك زوجها فى المعمل والمزرعة ، وفى الاحتطاب والنقل ، وفى البيع والشراء ، وقد تقوم بأعمال لا يقوى على مثلها الرجال . وبعد أن يورد أسماء طائفة من الكرديات المعاصرات اللاتى اشتهرن فى ميادين الأدب والفن والثقافة وأعمال البطولة . يقول :

« إن المرأة الكردية تعتمد على نفسها لتحصيل قوتها اليومى أو إدارة اقتصاد العائلة عند ما تتزوج ؛ لذا لا تجد المرأة الكردية كبير مشقة فى تجهيز الأسرة بما قسم الله من

الرزق عنـد فقدانها زوجها أو عائلها . فكم شاهدت من أرملة كردية قد حرمت على نفسها الزواج بعد زوجها الأول وكرست حيـاتها لخدمة أولادها بالكسب الشريف وعرق الجبين ، بل شاهدت عدة أرامل وقد أصابهن العمى ورغم ذلك قد أبين سؤال الناس أو مد الأكف ، بل قمن ببعض المهن الشـاقة وآثرن شظف العيش والحرمان على النعم لمتأتية من الذل والخنوع فى خدمة الأثرياء . . . »

حيرتنى يا قارئى

ونكتفى بهذا الحديث عن مجلات العراق لنقرأ للأستاذ عبدالحميد يس فى مجلة « الذخيرة » التى تصدر عن فلسطين مقالا بهـذا العنوان يعيب فيه على طائفة من المؤلفين وكثير من الصحفيين أنهم يعمدون فيما يكتبون وينشرون إلى اسـتهواء القراء وترضيتهم وتملقهم ، واشتغالهم بذلك عن صقل أنفسهم وتغـذية أرواحهم . فأصبح الكاتب مقوداً لا قائداً ، ومسلياً لا مؤدباً ، وسميراً للتندر لا وزيراً للنصـح والارشاد . . . ثم يقول متحدثاً إلى قارئه :

« يبدو لى ، ولعلك أنت أيضاً ترى ، أن الجانب الأكبر مما فى المجلات الأسبوعية يدور حول ثلاث نقاط : المرأة ، والحياة الجنسية ، والجرائم وأبطالها والقيل والقال فى الطبقات العليا من المجتمع ؛ فالمجلة التى لاتزدان بصورة من صور الحسان فى مناسبة ودون مناسبة ، تعتبر رجعية تليق بالسلف الصالح وحده . . . »

ويمضى الكاتب فى نقده ، وفى حيرته فى اختيار ما يرضى القـارئ وما لا يرضيه ، حتى ينتهى من مقاله كما بدأ : بين الانكار والرضا ، وبين الحيرة والاطمئنان .

عدالة المستقبل !

وندع هذا اللون لننظر فى لون آخر تقدمه مجلة « الطريق » التى تصدر فى « بيروت » وهى مجلة ذات طابع خاص فى النقد السياسى ، وقد سلخت من عمرها بضع سنين ماضية إلى غاية تدعوها وتكافح عنها ، ولعلها بالغة غايتها.

وها هى ذى تتحدث فى العدد السابع عشر من سـنتها الخامسة عن « عدالة المستقبل » لمناسبة الحكم الذى أصدرته محكمة نورمبرج على من أسماهم منطق المنتصرين « مجرمى الحرب » . ولولا الهزيمة التى نالت جيوشهم لكانوا اليوم أبطالا وسادة ينزلون من الناس منزلة الحفاوة والتكريم . . . ولعـل الذين حاكموهم فحكموا عليهم كانوا يومئذ فى عرف العالم هم المجرمين ، لأنهم . . . لأنهم لم يكسبوا المعركة الأخيرة !

هؤلاء وأولئك قد اعتدوا على سلام العالم . وسفكوا دم الأبرياء ، وأيتموا الأطفال ، وأرملوا النساء ، وأخربوا العامر ، وأظمأوا وأجاعوا وأعروا ، إن لم يكن فى هذه الحرب ففى حروب سلفت ، وإن لم يكن فى تلك المعركة ففى معارك أخرى لا تزال ناشبة فى الشرق والغرب . . .

. . . هؤلاء وأولئك سواسية فى الصفة التى وقفت هؤلاء النازيين بين يدى قضاتهم

ثم انتهت بهم إلى يد الجلاد . ولكن إحدى الطائفتين انتصرت فى تلك المعركة فنالت البراءة بانتصارها ، وانهزمت الأخرى فكانت مجرمة بهزيمتها ؛ ولا يزال قانون «اسبرطة» نافذاً على توالى القرون ، ولا يزال الحق هو القوة ، ولا يزال الويل للمغلوب !

وتتحدث مجلة « الطريق » إلى قرائها لهذه المناسبة ، فتصف هذا الحكم الذى حكم به قضاة نورمبرج على مجرمى النازية بأنه « عدالة المستقبل » لا لأنه نال النازيين دون غيرهم من سائر سفاكى الدماء وقتلة البشر ومغتصبى حرية الشعوب ، بل لأنه « لأول مرة فى تاريخ الانسانية لم تعد الجرائم الفردية وحدها هى التى تقع تحت طائلة العقاب ، فقد برهن حكم نورمبرج أن الانسانية قد دخلت مرحلة جديدة من تاريخها ، مرحلة أصبح فيها قتل الشعوب الآمنة فى نطاق الجرائم التى لا تغتفر . ولن يكون بعيداً اليوم الذى تطول فيه يد العدالة الانسانية الجرائم المقترفة ضد السلم وضد الانسانية وجميع المؤامرات التى تحاك ضد السلم والانسانية باعتبارها شروعاً فى ارتكاب الجرم ... ! »

أترى يتحقق هذا الحلم الرائع فتعقد غدا المحاكمات لمجرمى الحرب وأعداء السلام والحرية ، غالبين ومغلوبين على السواء !

ولكن من ينفذ هذا الحكم وفى كل جريمة غالب قوى ومغلوب منهزم ؟